١٩١٩ ، بعد التصريح البريطاني للسوريين السبعة وبعد البيان الانجلو ـــ فرنسي ، قامت حكومة صاحب الجلالة بمحاولات خاصة في هذا الصدد تهدف الى ايصال سياستها لادارة مناطق العدو المحتلة(١٤٢) . بيد ان أصحاب المبادرة في اصدار تصريح بلفور كانوا آنذاك قد توقفوا عن تأييد السياسة الصهيونية بالاستناد الى اقتناعهم السابق . ان سايكس توفي عام ١٩١٩ ، بينما استقال بلفور وفقد لويد جورج اهتمامه بالصهيونية . من السهل لنا أن نفهم لماذا رفض العسكريون استباق الدوافع السياسية البريطانية قبل انعقاد مؤتمر الصلح ، ولماذا رفضوا بالتالي معاملة الصهيونيين باعطائهم الميزة والافضلية على العرب . ففي أذهان هؤلاء العسكريين لم يكن البريطانيون ابدا على التزام كلي باتباع سياسة ممالئة للصهيونية . ورغم الغاء ادارة مناطق العدو المحتلة وتبني موقف مؤيد للصهيونية في صياغة صك الانتداب ، فقد وجد الكثيرون في لندن ممن أعلنوا معارضتهم لتصريح بلفور عقب انتهاء الحرب .

ان كيرزون الذي أصبح ناظرا لوزارة الخارجية عام ١٩٢٠ كان متخوفا من دخول اليهود الاوروبيين الشرقيين باعداد كبيرة الى فلسطين باعتبارهم يحملون نزعات بولشفية(١٤٤)، كما خشي من استفزاز العرب نظرا للمشاكل التي تقاسي منها بريطانيا في العراق . وحتى عام ١٩٢٣ كانت هناك داخل حزب المحافظين نواة صلبة من المعارضة لتصريح بلفور . فقد أعلن الكثيرون معارضتهم للتكاليف الحقيقية والممكنة التي سوف تقع على عاتق دافع الضرائب البريطاني بغية الحفاظ على الامن والسلام بفلسطين(١٤٥) . وأعرب السير وليام جوينسون ـــ هيكس ، ناظر دائرة التجارة لما وراء البحار ، عن معارضته للظلم الذي ينطوي عليه تصريح بلفور وللتفسير القائل بأن «الوطن القومي» يعني اقامة دولة يهودية (الكومنولث اليهودي)(١٤٦) .

ان هذه المعارضة تمتعت بتأييد صحيفتي « التايمز » و« الدايلي ميل » حتى وفاة اللورد نورثكليف ، مساعد ناظر الدولة للشؤون الخارجية ، في سنة ١٩٢٢ . كما ان السيد ج . م . ن . جفريز ، وهو صحفي ، كتب بعض المقالات العنيفة ضد الصهيونية ومن جملتها ترجمة جديدة لمراسلات الشريف حسين والسير هنري مكماهون(١٤٧) . وفي مجلس اللوردات أعلن اللورد غراي ، الذي سبق له أن منح تاييده لتصريح بلفور ، بأنه اذا كان ٩٣ بالمائة من السكان عربا ، فمن الضروري اقامة حكم عربي في فلسطين(١٤٨) . فالهجرة خضعت لقيود أشد صرامة بعد اضطرابات ١٩٢١ ، ولم يمر وقت قصير على ذلك حتى كان وفد عربي فلسطيني يصل الى لندن لعرض قضيته(١٤٩) .

وفي حزيران (يونيو) ١٩٢٢ هزمت حكومة الائتلاف في مجلس اللوردات بواسطة اقتراح يقضي باعلان الانتداب غير مقبول حتى يصار الى تعديله وفقا للتعهدات المعطاة للعرب . بيد أن التصويت جاء معكوسا في تموز (يوليو) من العام نفسه وداخل مجلس العموم عندما سقط اقتراح يدعو الى أعادة النظر في الانتداب والى اجراء تحقيق في امتياز روتنبرغ(١٥٠) . فقد قال ونستون تشرشل في معرض هجومه على زعيمي المعارضة ، السير وليام جوينسون ـــ هيكس واللورد سادينهام ، ما يلي : « لا يحق لكما تأييد التصريحات العلنية والرسمية الصادرة باسم وطنكم ابان ازمة الحرب ورحاها الدائرة، ثم تتراجعون عنها فيما بعد لكي تعيدوا النظر فيها بهدوء وتؤدة »(١٥١) .

كما صرحت لجنة وزارية في تقرير لها بان حكومة صاحب الجلالة لا يسعها التخلي عن الانتداب لاسباب تتعلق بالاستراتيجية والمكانة الرفيعة(١٥٢) .

وبناء عليه ، وحتى لو كان نفر من الرجال يريدون « اعادة النظر بهدوء وتؤدة » فيما استصدره بعض الرجال ابان « أزمة الحرب وسخونتها » ، فان فقدان المركز الاستراتيجي وخسارة ماء الوجه كانت اكثر أهمية بالنسبة للاغلبية . فالكتاب الابيض